أهمية النحو العربي في تنمية الكفاية اللغوية والبحثية لدى الطلاب الدارسين من غير الناطقين بالعربية

The Importance of Arabic Grammar in Developing Linguistic and Research Competence among Non-Native Arabic-Speaking Students

الدكتور بشير أحمد الزابوي

قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة أحمد بلو زَارِيَا – نيجيريا

البريد الإلكتروني azzabawibashir@gmail.com

مستخلص البحث

يهدف هذا البحث إلى إبراز أهمية النحو العربي ودوره المحوري في تنمية الكفايات اللغوية والبحثية لدى الطلاب الدارسين من غير الناطقين بالعربية. وقد انطلق من فرضية أنّ النحو ليس علمًا شكليًا يقتصر على ضبط أواخر الكلمات، بل هو أداة أساسية لفهم النصوص، وصياغة الكتابة الأكاديمية، وضمان الدقة في الترجمة، ودعم المحادثة والعرض العلمي. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مركزةً على بيان العلاقة التكاملية بين النحو والمهارات اللغوية الأربع (القراءة، الكتابة، الاستماع، المحادثة). وتوصل البحث إلى أنّ التحديات التي تواجه هذه الفئة من الطلاب لا تعود إلى صعوبة النحو في ذاته، بل إلى طرائق تدريسه القائمة على الجفاف النظري، مما يستدعي إعادة صياغة المناهج التعليمية وفق مقاربة تكاملية تجمع بين الجانب الوصفي والوظيفي. وفي ضوء ذلك يقترح البحث جملة من التوصيات، من أبرزها: تطوير المواد التعليمية القائمة على النصوص الحية، وتوظيف التقنيات الرقمية، وتأهيل المدرسين المتخصصين، وتشجيع الدراسات التطبيقية. وتخلص الدراسة إلى أنّ النحو العربي يمثل قاعدة معرفية ضرورية لإكساب غير الناطقين بالعربية القدرة على الاندماج في البيئة الأكاديمية العربية وممارسة البحث العلمي بلغة سليمة ودقيقة.

كلمات مفتاحية :النحو العربي ؛ الكفايات اللغوية والبحثية

Abstract

This study seeks to highlight the significance of Arabic grammar and its central role in developing both linguistic and research competencies among non-native Arabic-speaking students. It is based on the premise that grammar is not merely a formal system of inflectional rules, but rather a fundamental tool for understanding texts, producing coherent academic writing, ensuring accuracy in translation, and supporting oral

communication and scholarly presentations. The study adopts a descriptive-analytical approach, focusing on the integrative relationship between grammar and the four language skills (reading, writing, listening, and speaking). The findings indicate that the challenges faced by this group of learners stem not from the inherent difficulty of grammar itself, but from traditional methods of instruction characterized by excessive abstraction and dryness. Consequently, the paper recommends a pedagogical shift towards an integrative approach that combines descriptive accuracy with functional application. Among the proposed recommendations are: developing teaching materials based on authentic texts, incorporating digital technologies, training specialized instructors, and encouraging applied research. The study concludes that Arabic grammar constitutes an indispensable foundation for enabling non-native learners to integrate into the Arabic academic environment and to conduct scientific research in a precise and linguistically sound manner.

Keywords : Arabic grammar; linguistic and research competencies

المقدمة

مما لا يختلف فيه الاثنان من الباحثين أن النحو العربي أحد الركائز الأساسية في منظومة تعليم اللغة العربية، إذ يمثل الإطار الذي يضبط التراكيب ويوجه الاستعمال اللغوي نحو الدقة والانسجام. ومن ثمّ، فإنّ إتقانه لا يُعد مجرد مهارة معرفية، بل هو شرط جوهري لتحقيق الكفاية اللغوية التي تمكّن المتعلم من إنتاج نصوص سليمة في بنيتها ودقيقة في دلالتها. وإذا كان النحو يشكّل أداة لحفظ النظام اللغوي عند الناطقين بالعربية، فإنّ دوره يزداد أهمية عند الطلاب الدارسين من غير الناطقين بها، الذين يحتاجون إلى سند منهجي يساعدهم على تجاوز الصعوبات المرتبطة ببنية الجملة العربية وتنوع صورها الإعرابية.

وتزداد الحاجة إلى النحو في البيئة الأكاديمية التي ينتمي إليها الطلاب الباحثون، لأنّ متطلبات البحث العلمي تقتضي قدرة عالية على القراءة الدقيقة للنصوص، وفهم العلاقات النحوية التي تسهم في تفسير المعاني، فضلًا عن القدرة على الكتابة العلمية الرصينة الخالية من الانحرافات التركيبية. فالنحو في هذا السياق لا يقتصر على كونه علمًا تقعيديًا، بل يتجاوز ذلك ليصبح أداة وظيفية تسهم في تطوير المهارات الأربع للغة: الاستماع، والمحادثة، والقراءة، والكتابة، بصورة متكاملة.

وقد أشارت دراسات متخصصة في تعليم العربية للناطقين بغيرها إلى أنّ غياب التمكّن من النحو يؤدي إلى ضعف الكفاية التواصلية، وإلى قصور في إنتاج نصوص أكاديمية متماسكة (حجازي، ٢٠٠٠:

٧٣؛ المسدي، ١٩٩٣: ٨٩). وهذا يعني أنّ تعليم النحو ينبغي أن يقوم على منهجية حديثة تراعي الجانب الوظيفي والتواصلي، بحيث يُقدَّم للطلاب في سياقات نصية وتداولية تبرز علاقته المباشرة بالمعنى والاستخدام.

وعليه، فإنّ هذا المقال يهدف إلى إبراز أهمية النحو العربي في تنمية مهارات الطلاب الباحثين من غير الناطقين بالعربية، من خلال مناقشة دوره في:

- ترسيخ الكفاية اللغوية الدقيقة.
- دعم القدرة البحثية على قراءة النصوص وتحليلها.
- تمكين المتعلم من إنتاج خطاب علمي رصين ينسجم مع متطلبات الدراسات العليا.

ومن ثمّ، فإنّ هذه الدراسة لا تتوقف عند الجانب الوصفي للنحو، بل تسعى إلى إعادة تأطيره في سياق وظيفي يراعي احتياجات المتعلم المعاصر، ويضعه في صميم العملية التعليمية بوصفه أداة لتحقيق الفهم العميق والإنتاج العلمي المتميّز.

النتائج والمناقشة

المحور الأول: النحو وأثره في تنمية الكفاية اللغوية لدى الطلاب الدارسين من غير الناطقين بالعربية

يشكّل النحو العربي، منذ نشأته في القرن الثاني للهجرة، الإطار المرجعي الذي يُستند إليه في فهم النصوص وضبط الاستعمال اللغوي. وإذا كان هذا الدور واضحًا عند العرب أنفسهم في الحفاظ على سلامة اللغة وصونها من اللحن، فإنّ الحاجة إليه تصبح أشدّ عند الطلاب الدارسين من غير الناطقين بالعربية. ذلك أنّ هؤلاء المتعلمين يواجهون صعوبات مضاعفة تنشأ من الفروق الجوهرية بين أنظمتهم اللغوية الأم وبين النظام النحوي العربي القائم على الإعراب وتنوّع التراكيب.

تظهر أهمية النحو، في هذا السياق، في كونه وسيلة لترسيخ الكفاية اللغوية التي عرّفها اللغويون بأنها القدرة على إنتاج وفهم الجمل في ضوء قواعد النظام اللغوي (Chomsky, 1965:4-5). فالمتعلم غير العربي الذي يتقن النحو العربي يصبح قادرًا على تكوين جمل صحيحة من حيث التركيب والإعراب، وهو ما ينعكس مباشرة على أدائه في مهارات اللغة الأربع:

- ففي الاستماع، تساعده المعرفة النحوية على تمييز العلاقات بين عناصر الجملة وفهم المعنى الدقيق.
- وفي المحادثة، تتيح له القواعد النحوية إنتاج خطاب متماسك، بعيد عن الأخطاء التركيبية التي قد تشوش على المعنى.

- أما في القراءة، فإنّ التمكّن من النحو يفتح أمامه إمكانات فهم النصوص العربية الكلاسيكية والمعاصرة على السواء، بما في ذلك النص القرآني الذي يُعَدّ أصعب نص لغوي على مستوى التراكيب.
- وأخيرًا، في الكتابة، يعدّ النحو الأداة الرئيسة لضبط التراكيب الأكاديمية، والتفريق بين المعاني الدقيقة، وتجنّب الغموض.

لقد بيّنت بعض الدراسات التطبيقية أنّ الضعف في الكفاية النحوية يؤدي إلى ضعف في الكفاية التواصلية، بحيث يصبح المتعلم عاجزًا عن التعبير عن المعاني الدقيقة، أو يقع في التباس يؤدي إلى سوء الفهم (حجازي، ٢٠٠٠: ٧٤؛ المسدي، ١٩٩٣: ٩٢). ويؤكد ذلك أنّ النحو لا ينبغي أن يُقدَّم للطلاب في صورة جافة قائمة على الحفظ والتلقين، بل يجب أن يُدرَّس بوصفه أداة وظيفية مرتبطة بالاستخدام الواقعي للغة. فالمتعلم حين يتعرّف، مثلًا، على قاعدة رفع الفاعل ونصب المفعول، ينبغي أن يرى هذه القاعدة متجسدة في نصوص حقيقية — شعرية أو نثرية — لا أن تُعرض له مجردة عن السياق.

ويُلاحظ أنّ بعض البرامج التعليمية التقليدية تكتفي بتدريس النحو في صورته التراثية الصارمة، مما يؤدي إلى نفور المتعلم وإلى عدم قدرته على الربط بين القاعدة والاستعمال. وقد دعا عدد من الباحثين في تعليم العربية لغير الناطقين بها إلى اعتماد المقاربة الوظيفية أو التداولية، التي تركّز على إدماج القاعدة النحوية في مواقف تواصلية حقيقية (Rodgers, 2001:5 & Richards)). وهذا يعني أنّ الطالب لا يتعلّم "النصب" و"الرفع" كمفاهيم تجريدية، بل يتعلّم كيف يستخدمها في كتابة مقال، أو في مناقشة علمية، أو في فهم نص أكاديمي.

وبذلك يمكن القول إنّ النحو العربي يؤدي دورًا مركزيًا في بناء الكفاية اللغوية للطلاب الباحثين غير الناطقين بالعربية، لأنه يزوّدهم بالأداة التي تمكّنهم من التفاعل مع النصوص والأفراد في بيئة أكاديمية عربية، على نحو يضمن سلامة التواصل ودقته. ومن هنا يصبح النحو ليس غاية في ذاته، وإنما وسيلة لتحقيق الاندماج في مجتمع البحث العلمي العربي، وتيسير عملية الفهم والإنتاج اللغوي بصورة متوازنة.

المحور الثاني: النحو ودوره في تنمية الكفاية البحثية لدى الطلاب الدارسين من غير الناطقين بالعربية

لا يقتصر دور النحو العربي على تمكين المتعلم من التواصل السليم في الحياة اليومية أو الأكاديمية، بل يتجاوز ذلك إلى أن يصبح أداة رئيسة في تطوير الكفاية البحثية، وهي القدرة على التعامل مع النصوص والمصادر العلمية تعاملًا نقديًا وتحليليًا يُفضي إلى إنتاج خطاب معرفي رصين. وبالنسبة إلى الطلاب الباحثين غير

الناطقين بالعربية، فإنّ هذه الكفاية البحثية لا تتحقق بصورة كاملة إلا عبر التمكن من النظام النحوي العربي الذي يُشكّل العمود الفقري للنصوص العلمية والأدبية والفكرية المكتوبة بالعربية.

أولًا: النحو وفهم النصوص الأكاديمية:

تقتضي طبيعة الدراسات العليا الانخراط في قراءة نصوص متخصصة ذات لغة معقدة، قد تكون نصوصًا تراثية في ميادين التفسير أو الفقه أو النحو ذاته، أو نصوصًا حديثة في مجالات اللسانيات والعلوم الاجتماعية. وتتميّز هذه النصوص بكثافة تراكيبها، واعتمادها على الجمل الطويلة المتشابكة، مما يجعل فهمها متعذرًا على الطالب إذا لم يكن لديه رصيد نحوي راسخ. فمثلًا، لا يمكن إدراك الفرق بين جملة شرطية معلّقة على شرط وجملة شرطية منقطعة إلا بالقدرة على تحليل البنية النحوية. وهذا ما يجعل النحو أداة تحليلية ضرورية لفكّ شفرات النصوص الأكاديمية.

ثانيًا: النحو وإنتاج الكتابة العلمية:

في الكتابة الأكاديمية، يُطلب من الطالب الباحث صياغة نصوص خالية من اللبس، دقيقة في دلالاتها، منضبطة في تراكيبها. وهنا يظهر النحو بوصفه معيارًا أساسًا للحكم على جودة الكتابة: فسلامة الإسناد، وحسن الربط بين الجمل، واستخدام الروابط النحوية (مثل أدوات الشرط والعطف والتوكيد) كلها عناصر تعكس مدى تمكن الطالب من القاعدة النحوية. وقد أشار تمام حسان إلى هذه الوظيفة حين أكّد أن "النحو ليس علمًا للتنظير فحسب، بل هو أداة للفهم والإفهام، وضابط للتعبير السليم" (تمام حسان، ١٩٧٩: ٤٣).

ثالثًا: النحو كأداة للتحليل النقدي:

من مظاهر الكفاية البحثية القدرة على ممارسة التحليل النقدي للنصوص، أي التمييز بين مستويات الدلالة، واكتشاف مواطن الغموض، ورصد الانزياحات الأسلوبية. وهذا التحليل لا يستقيم من دون استحضار البنية النحوية التي تمثل الإطار الذي تنتظم فيه المعاني. فعلى سبيل المثال، يؤثر التقديم والتأخير في الجملة العربية تأثيرًا مباشرًا في المعنى البلاغي والدلالي، وهو ما لا يمكن للطالب إدراكه من دون معرفة القاعدة النحوية. وهكذا يغدو النحو أداة فكرية تفتح للباحث أفقًا أوسع للتأويل العلمي والتذوق البلاغي.

رابعًا: النحو وبناء خطاب أكاديمي منضبط:

إنّ أحد التحديات التي يواجهها الباحث غير العربي عند كتابة أطروحاته أو مقالاته بالعربية يتمثل في الاضطراب النحوي، حيث تؤدي الأخطاء الإعرابية إلى الإخلال بالمعنى وإلى ضعف في القيمة العلمية للنص. وقد لاحظ بعض الأساتذة أنّ كثيرًا من رسائل الماجستير والدكتوراه المقدمة من غير الناطقين بالعربية تعاني من مشكلات نحوية جوهرية، رغم غنى محتواها العلمي. وهذا ما دفع بعض المؤسسات التعليمية إلى جعل مادة النحو مقررة إلزامية في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها، إدراكًا منها بأنّ ضبط التراكيب شرط أولي لإنتاج معرفة أكاديمية مقبولة.

خامسًا: النحو والقدرة على الترجمة العلمية:

جانب آخر من جوانب الكفاية البحثية يرتبط بالترجمة الأكاديمية، إذ يُطلب من الباحثين غير الناطقين بالعربية أحيانًا ترجمة نصوص من لغاتهم الأم إلى العربية أو العكس. وهنا يشكل النحو المرجع الأساسي للتأكد من مطابقة الترجمة للبنية الأصلية من جهة، ولسياقات العربية من جهة أخرى. فالمقابلات النحوية بين اللغات ليست دائمًا متماثلة، مما يقتضي من الباحث أن يكون مدركًا لدقائق النظام النحوي العربي حتى يتجنب الترجمات الركيكة أو المغلوطة.

سادسًا: نحو وظيفي في خدمة البحث العلمي:

لقد أصبح تدريس النحو من خلال السياق (*Contextual Grammar*) من أبرز الاتجاهات الحديثة في تعليم اللغات، حيث لا يُنظر إلى القواعد على أنها أنماط شكلية معزولة، وإنما باعتبارها أدوات وظيفية مرتبطة بالتواصل والفهم داخل نصوص حقيقية. وقد أكدت الدراسات أن هذه المقاربة تُسهم في تحسين قدرة المتعلمين على توظيف القواعد في مواقف طبيعية، بما يعزز كفاءتهم اللغوية والأكاديمية (Weaver, 1996:7). ومن ثمّ فإن اعتماد المنهج الوظيفي يُمثل نقلة نوعية في تعليم النحو، كونه يحقق التوازن بين الدقة العلمية والجدوى العملية.

وبهذا يتضح أن النحو العربي ليس مجرد علم نظري للطلاب غير الناطقين بالعربية، بل هو أداة أساسية في بناء كفاءتهم البحثية من القراءة النقدية إلى الكتابة الأكاديمية، ومن الترجمة العلمية إلى إنتاج خطاب رصين.

المحور الثالث: النحو بين الوصف والوظيفة في تعليم العربية لغير الناطقين بها

أولًا: النحو الوصفي: حفظ القاعدة وإتقان الشكل:

النحو العربي في صورته التراثية يقوم أساسًا على الجانب الوصفي، أي بيان ما ينبغي أن تكون عليه الجملة من حيث البنية الشكلية والعلامات الإعرابية. فالمتعلم يدرس – مثلًا – قاعدة رفع الفاعل ونصب المفعول، أو قاعدة مطابقة الخبر للمبتدأ، من خلال شواهد شعرية أو قرآنية، ثم يُطلب منه تطبيقها في أمثلة جديدة. وهذا اللون من التعليم، على الرغم من أهميته في ضبط التراكيب وحماية النصوص من اللحن، قد يتحول إلى عبء على الطالب غير العربي إذا لم يُقدَّم في صورة مبسطة وواضحة. إذ إنّ الاقتصار على الوصف المجرد للقاعدة دون ربطها بالسياق الاستعمالي يؤدي إلى انفصال بين المعرفة النظرية والتطبيق العملي.

وقد أشار شوقي ضيف إلى هذه الإشكالية حين ذكر أنّ "النحو العربي حين تحوّل إلى جداول من القواعد المجرّدة فقد كثيرًا من طبيعته الأولى التي كانت نابعة من الاستعمال" (ضيف، ١٩٩٨: ٤٥). وهذا يعني أنّ التركيز على الجانب الوصفي وحده قد يخلق حاجزًا أمام المتعلم الأجنبي، لأنه سيحفظ القاعدة دون أن يعرف كيف يوظفها في التواصل الحقيقي.

ثانيًا: النحو الوظيفي: أداة للتواصل والفهم:

وفي مقابل ذلك، ظهر الاتجاه الوظيفي في تعليم النحو، وهو اتجاه ينظر إلى القاعدة النحوية من حيث وظيفتها في تحقيق المعنى داخل النصوص والمواقف التواصلية. فالنحو الوظيفي لا يعلّم الطالب قاعدة "إنّ وأخواتها" بوصفها مسألة تجريدية، وإنما يبين له أنّ هذه الأدوات تغيّر المعنى الإسنادي وتفيد التوكيد أو التخصيص. وبذلك يصبح الطالب قادرًا على إدراك العلاقة بين التراكيب النحوية وبين الدلالات المقصودة في الخطاب.

لقد تبنّى تمام حسان هذا التوجه حين جعل مشروعه قائمًا على ثنائية المبنى والمعنى، مؤكّدًا أنّ "كل ظاهرة نحوية لا بد أن تُفهم في ضوء وظيفتها الدلالية والتداولية" (حسان، ١٩٧٩: ٥٧). ومن هنا فإنّ تعليم النحو الوظيفي للطلاب غير الناطقين بالعربية يضمن لهم قدرة أكبر على التفاعل مع النصوص، لأنه يربط القاعدة بغايتها النهائية وهي تحقيق المعنى.

ثالثًا: التوازن بين الوصف والوظيفة:

لا يعني ما سبق أنّ أحد الاتجاهين يغني عن الآخر؛ فالجانب الوصفي ضروري لتقعيد الاستعمال وضبطه، والجانب الوظيفي ضروري لتوضيح الغاية والمعنى. والتحدي الحقيقي في تعليم العربية للناطقين بغيرها هو تحقيق التوازن بين هذين البعدين: أن يتعلم الطالب القاعدة بوضوح، وأن يرى في الوقت نفسه وظيفتها في السياق.

فمثلًا، عند شرح قاعدة "لا النافية للجنس"، ينبغي أن يُبيَّن أولًا إعراب اسمها وخبرها (وصفيًا)، ثم تُعرض نصوص حقيقية توضّح كيف تُستخدم هذه البنية في إفادة العموم والنفي المطلق (وظيفيًا).

وقد أوصت بعض الدراسات الحديثة في مجال تعليم العربية بهذا التوازن، مؤكدة أنّ الاقتصار على أحد البعدين يضرّ بالعملية التعليمية: فالوصف وحده يولد الحفظ الآلي، والوظيفة وحدها تترك الطالب بلا ضوابط دقيقة للتعبير (Hymes, 1972:278). ومن ثم، فإنّ التكامل بينهما هو المسار الأمثل.

رابعًا: أثر هذا التوازن على الطلاب الباحثين:

حين يُدرَّس النحو بهذه الطريقة المتوازنة، يصبح الطالب الباحث غير الناطق بالعربية أكثر قدرة على فهم النصوص العلمية وتحليلها. فهو من جهة يمتلك قاعدة راسخة تمكّنه من تمييز الصواب من الخطأ (الوصف)، ومن جهة أخرى يدرك الأبعاد الدلالية والتداولية التي تجعل النص أكثر عمقًا (الوظيفة). وبذلك تتحقق له كفاية بحثية متكاملة تمكّنه من كتابة نصوص علمية سليمة من الناحية الشكلية، ومؤثرة من الناحية المعرفية.

وبهذا يتضح أن الجمع بين النحو الوصفي والنحو الوظيفي هو الحل الأمثل لتعليم العربية للناطقين بغيرها، خصوصًا في السياقات البحثية والأكاديمية.

المحور الرابع: تحديات تعليم النحو العربي للطلاب غير الناطقين به وسبل معالجتها

أولًا: صعوبة النظام الإعرابي:

أما الإعراب فهو أبرز مظاهر التحدي في تعليم النحو العربي، حيث يفرض على الطالب غير الناطق بالعربية أن يميز بين العلامات المختلفة (رفع، نصب، جر، جزم) وأن يربطها بوظائف نحوية دقيقة. وهذه العلامات قد لا يكون لها نظير مباشر في لغته الأم، مما يجعل استيعابها وتطبيقها تحديًا كبيرًا. فالطالب الأجنبي النيجيري – مثلًا – يواجه صعوبة في إدراك الفرق بين المبتدأ المرفوع والاسم المنصوب بعد "إنّ"، لأن التغير في العلامة الإعرابية يترتب عليه تغير في الوظيفة النحوية والمعنى.

ثانيًا: غموض المصطلحات النحوية:

من التحديات الأخرى كثرة المصطلحات النحوية وتعددها، حتى إنّ المفهوم الواحد قد يُسمى بأكثر من اسم (مثل المبتدأ/المسند إليه، الخبر/المسند). هذا التعدد يربك الطالب غير العربي، خصوصًا إذا كان يدرس من مراجع مختلفة أو عبر أساتذة ينتمون إلى مدارس نحوية متباينة. وقد أشار تمام حسان إلى هذه الإشكالية

بقوله: "لم يسلم المصطلح النحوي من الغموض والازدواجية، حتى صار عقبة في وجه الدارس لا أداة للتوضيح" (حسان، ١٩٧٩: ١٤١).

ثالثًا: كثرة القواعد وتفريعاتها:

يمتاز النحو العربي بتشعب قواعده وكثرة تفصيلاته، وهو أمر قد يناسب المتعلم العربي الذي نشأ على سماع اللغة في بيئته، لكنه يشكّل عبئًا على الطالب الأجنبي. فعلى سبيل المثال، يجد صعوبة في استيعاب الفروق بين أنواع "لا" (النافية للجنس، الناهية، العاطفة، المزحلقة)، أو بين صور المفعول المطلق (توكيدًا، بيانًا، عددًا). وهذه التفريعات، إذا قُدمت دفعة واحدة، تُحدث تشويشًا وتثقل عملية التعلم.

رابعًا: الفجوة بين القاعدة والاستخدام:

كثيرًا ما يُدرّس النحو في صورة قواعد منفصلة عن النصوص الحية، مما يجعل الطالب يحفظ القاعدة نظريًا لكنه يعجز عن توظيفها في الكتابة أو المحادثة. فمثلًا، قد يعرف الطالب أن الفعل المضارع المنصوب بالفتحة بعد "أنْ" لكنه لا يستطيع أن يوظفه في جملة سليمة عند الكتابة الأكاديمية. هذه الفجوة بين المعرفة والاستخدام من أبرز معوقات تعليم النحو العربي.

خامسًا: تأثير اللغة الأم:

تؤثر اللغة الأم في تعلم الطالب للنحو العربي من خلال ما يسمى بـ النقل اللغوي (*Language Transfer*). فالطالب يميل إلى إسقاط قواعد لغته الأم على اللغة الجديدة، فإذا كانت لغته لا تعرف الإعراب أو التذكير والتأنيث، فإنه يخطئ في تطبيق هذه الظواهر عند تعلم العربية. وهذا ما يجعل الأخطاء النحوية عند الطلاب الأجانب متكررة ومنظمة، أي ناتجة عن تدخل النظام اللغوي الأول.

سادسًا: نقص الكفاءات التدريسية والمواد التعليمية:

من التحديات العملية في هذا المجال ندرة الأساتذة المتخصصين في تعليم النحو للناطقين بغير العربية بطريقة وظيفية حديثة. فكثير من المدرّسين يقتصرون على تكرار ما في كتب النحو التراثية، دون تكييفها مع حاجات الطالب الأجنبي. كما أنّ المواد التعليمية المتاحة قد لا تراعي التدرج المناسب ولا توظف التكنولوجيا التعليمية الحديثة.

سبل المعالجة:

أ– تبسيط القاعدة وربطها بالسياق:

ينبغي أن تُعرض القاعدة النحوية في صورة مبسطة مرتبطة بنصوص حقيقية (قرآنية، حديثية، أدبية، أو أكاديمية)، بحيث يرى الطالب القاعدة في سياقها الطبيعي. وهذا ما يعرف بـ النحو السياقي (*Contextual Grammar*)، الذي يربط بين القاعدة والاستخدام العملي.

ب– توحيد المصطلحات وتوضيحها:

من المهم اختيار مصطلحات نحوية موحدة وسهلة الشرح، مع تقديم مقابل بلغة الطالب الأم أو بلغة وسيطة إذا لزم الأمر. كما يُستحسن الاعتماد على المصطلح الوظيفي (مثل: مسند/مسند إليه) لأنه أقرب إلى المنهج اللساني الحديث وأسهل في الفهم.

ج– التركيز على النحو الوظيفي:

بدلًا من الغرق في التفصيلات الجدلية للقاعدة، يُقدَّم النحو من خلال وظيفته التواصلية: كيف يُغيّر ترتيب الكلمات المعنى؟ كيف يميز بين الفاعل والمفعول؟ كيف تُستخدم التراكيب في النصوص الأكاديمية؟ هذا التركيز يعين الطالب على توظيف القاعدة مباشرة في كتاباته وأبحاثه.

د– استخدام التكنولوجيا التعليمية:

يمكن توظيف الوسائط التفاعلية (برامج المحاكاة، التطبيقات النحوية، المنصات التعليمية الإلكترونية) لتدريب الطلاب على تطبيق القواعد في مواقف عملية. فالنحو ليس مادة للحفظ، بل مهارة تحتاج إلى تدريب مستمر على التحليل والتركيب.

هـ– تدريب المدرسين وتأهيلهم:

لا بد من إعداد الأساتذة إعدادًا خاصًا في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها، مع التركيز على طرائق تدريس النحو الوظيفي، وكيفية تجاوز التحديات النفسية واللغوية التي يواجهها الطالب الأجنبي.

ومن هنا يتضح أنّ تعليم النحو العربي للطلاب غير الناطقين به يواجه تحديات متعددة تتصل بطبيعة النظام النحوي نفسه من جهة، وبالجانب البيداغوجي من جهة أخرى. غير أنّ هذه التحديات قابلة للتجاوز إذا

ما وُظفت مناهج تعليمية حديثة توازن بين الوصف والوظيفة، وتستثمر في التكنولوجيا التربوية، وتُعِدّ المدرس إعدادًا ملائمًا.

المحور الخامس: النحو العربي وتكامل المهارات اللغوية عند الطلاب الباحثين غير الناطقين بها

أولًا: النحو وفهم النصوص:

النحو العربي ليس مجرد علم شكلي يضبط أواخر الكلمات، بل هو أداة أساسية لفهم النصوص فهمًا عميقًا. فحين يقرأ الطالب الباحث نصًا علميًا أو أدبيًا يحتاج إلى معرفة تركيب الجملة ليحدد الفاعل والمفعول، والمسند والمسند إليه، والروابط بين الجمل. ومن دون هذه المعرفة قد يُسيء الفهم أو يختلط عليه المعنى.

فعلى سبيل المثال، فهم التقديم والتأخير في الجملة العربية كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يتطلب إدراكًا نحويًا دقيقًا يكشف دلالته على الحصر. وهكذا، يصبح النحو أداة لفك شفرات النصوص، مما يعزز كفاءة الباحث في التعامل مع مصادره.

ثانيًا: النحو وتنمية مهارة الكتابة الأكاديمية:

لا يمكن للباحث غير الناطق بالعربية أن يكتب نصًا علميًا سليمًا من غير إحكام القواعد النحوية. فالنحو يزوده بالأدوات التي تمكّنه من صياغة جمل مترابطة، سليمة من الأخطاء، واضحة الدلالة. وتظهر أهمية ذلك في كتابة البحوث الأكاديمية، حيث يتطلب الأمر دقة في استخدام المرفوعات والمنصوبات، وحسن توظيف أدوات الربط، وتجنب التراكيب الركيكة.

وقد أشار شوقي ضيف إلى هذه الوظيفة حين قال: "إنّ النحو العربي ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة لصياغة التعبير العربي في أدق صورة وأصفاها" (ضيف، ١٩٨٢: ١٢). وهذا يؤكد أنّ التحكم في النحو شرط لتحقيق الكتابة العلمية الرصينة.

ثالثًا: النحو ومهارة الترجمة:

من التحديات التي يواجهها الطلاب الباحثون في الدراسات العليا الحاجة إلى ترجمة نصوص علمية من العربية وإليها. وهنا يظهر دور النحو بوصفه أداة لضبط المعنى أثناء النقل. إذ إنّ أي خلل نحوي في فهم النص الأصلي قد يؤدي إلى ترجمة خاطئة أو غامضة. فعلى سبيل المثال، الالتباس بين الفاعل والمفعول في جملة

عربية قد ينتج عنه ترجمة معكوسة في اللغة الهدف. ومن هنا، يصبح التمكن من النحو أساسًا لضمان الدقة في الترجمة الأكاديمية.

رابعًا: النحو ومهارة المحادثة والعرض العلمي:

قد يُظن أن النحو لا علاقة له بالمحادثة الشفوية، لكن التجربة تثبت عكس ذلك. فالباحث حين يقدم عرضًا علميًا أو يشارك في مناقشة بحث يحتاج إلى تراكيب نحوية صحيحة تسعفه في التعبير عن أفكاره. الأخطاء النحوية في هذا السياق لا تؤثر فقط على وضوح المعنى، بل قد تُضعف من مصداقية الباحث أمام الجمهور. ومن هنا، يصبح النحو داعمًا لمهارة المحادثة والعرض العلمي.

خامسًا: التكامل بين المهارات من خلال النحو:

يتضح مما سبق أن النحو يتغلغل في جميع المهارات اللغوية الأربع:

- القراءة: لفهم النصوص وتحليلها.
- الكتابة: لصياغة بحوث سليمة ودقيقة.
- الاستماع: لفهم التراكيب المعقدة في المحاضرات أو النصوص المسموعة.
- المحادثة: للتعبير الشفوي السليم.

إنّ الطالب الباحث لا يستطيع أن يطور مهارة على حساب أخرى بمعزل عن النحو، لأنه يشكّل البنية التحتية لجميع هذه المهارات. ومن هنا فإنّ إدماج تعليم النحو ضمن برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها ليس خيارًا إضافيًا، بل ضرورة لتحقيق التكامل بين مختلف المهارات.

سادسًا: نحو مقاربة تكاملية في التعليم:

توصي الدراسات الحديثة بضرورة تبني مقاربة تكاملية في تعليم النحو، بحيث لا يُدرّس كعلم مستقل عن بقية المهارات، بل يندمج في الأنشطة اللغوية جميعًا. فعند تدريب الطالب على كتابة مقال، يُستثمر الموقف لتوضيح القواعد النحوية الخاصة بالربط أو التراكيب الوصفية. وعند تدريبه على المحادثة، يُشار إلى دور أدوات الشرط أو التوكيد في تقوية التعبير. وبهذا يصبح النحو حيًّا في الاستعمال، لا مجرد قواعد جامدة.

وبهذا نخلص إلى أن النحو العربي ليس مادة نظرية منعزلة، بل هو خيط ناظم يربط بين مختلف المهارات اللغوية لدى الطلاب الباحثين غير الناطقين بالعربية، ويضمن لهم القدرة على القراءة النقدية، والكتابة الأكاديمية، والترجمة الدقيقة، والتعبير الشفوي السليم.

الخاتمة

لقد أظهر البحث أنّ النحو العربي، على الرغم من الصعوبات التي يواجهها المتعلمون غير الناطقين بالعربية، يمثل أساسًا لا غنى عنه في بناء كفاءتهم اللغوية والبحثية. فهو الإطار الذي يمنح النصوص وضوحها ودقتها، ويحدد العلاقات بين عناصرها، ويكفل للدارس القدرة على القراءة الواعية، والكتابة الأكاديمية السليمة، والترجمة الدقيقة، والمحادثة الواضحة.

كما تبيّن أنّ الإشكال الرئيس في تعليم النحو لهذه الفئة لا يكمن في صعوبة النحو ذاته، وإنما في طرائق عرضه وتدريسه. فالاقتصار على الجانب الوصفي يحوله إلى مادة جافة صعبة الاستيعاب، بينما الاقتصار على الجانب الوظيفي يحرمه من الضبط والدقة. ومن هنا، فإنّ التوازن بين البعدين – الوصفي والوظيفي – هو السبيل الأمثل لجعل النحو العربي أداة حقيقية لبناء الكفايات.

وقد أكدت المحاور أن النحو يتداخل مع مختلف المهارات اللغوية، فلا يمكن أن يتحقق إتقان للقراءة أو الكتابة أو الاستماع أو المحادثة بمعزل عن الإحاطة بقواعده. ومن هنا تبرز قيمة النحو في تكوين الباحثين غير الناطقين بالعربية، لأنه يمنحهم الأدوات اللازمة للاندماج في البيئة العلمية العربية وممارسة البحث بلغتها الأصلية.

كلمة الشكر والتقدير (اختياري)

التوصيات:

بناءً على النتائج المتوصل إليها، يقترح البحث مجموعة من التوصيات العملية:

١. إعادة النظر في مناهج تعليم النحو لغير الناطقين بالعربية، بحيث تراعي التدرج من السهل إلى الصعب، وتربط بين القاعدة وبين وظيفتها في النصوص التواصلية.

٢. الاعتماد على المقاربة التكاملية، التي تدمج تعليم النحو ضمن الأنشطة المتعلقة بالمهارات الأربع (قراءة، كتابة، استماع، محادثة)، بدل عزله كمادة مستقلة.

٣. تطوير مواد تعليمية حديثة تعتمد على النصوص الواقعية (الأدبية، الإعلامية، العلمية) لتقديم القواعد في سياقها الحيّ، مع الابتعاد عن الأمثلة المصطنعة الجامدة.

٤. توظيف الوسائط التعليمية والتقنيات الرقمية، كالتطبيقات التفاعلية والمنصات الإلكترونية، لتدريب الطلاب على التراكيب النحوية بصورة عملية وممتعة.

٥. تأهيل المدرسين المتخصصين في تعليم العربية للناطقين بغيرها، بحيث يجمعون بين التمكن من التراث النحوي والإلمام بالاتجاهات اللسانية الحديثة.

٦. تشجيع البحوث التطبيقية التي تدرس أثر طرائق مختلفة في تدريس النحو على تحصيل الطلاب الباحثين، لمدّ برامج تعليم العربية ببيانات علمية دقيقة.

آفاق البحث:

يفتح هذا الموضوع آفاقًا واسعة لدراسات مستقبلية، منها:

- دراسة مقارنة بين طرائق تدريس النحو العربي والطرائق المستعملة في تدريس نحو اللغات الأجنبية الأخرى.
- تحليل أخطاء الطلاب غير الناطقين بالعربية في التراكيب النحوية واقتراح استراتيجيات لمعالجتها.

بناء معاجم نحوية مبسطة موجهة خصيصًا للباحثين غير العرب في السياقات الأكاديمية.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- حجازي، محمود فهمي. *اللسانيات والبنية العربية*. القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠م.
- المسدي، عبد السلام. *اللسانيات وأسسها المعرفية*. تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
- ضيف، شوقي. *تاريخ النحو العربي*. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٨م.
- ضيف، شوقي. *تجديد النحو*، القاهرة: دار المعارف، ط ١؛ ١٩٨٢م.
- تمام حسان. *اللغة العربية معناها ومبناها*. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٩م.

- عبد التواب، رمضان. *المدارس النحوية*. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٢م.
- السامرائي، فاضل. *معاني النحو*. عمان: دار عمار، ١٩٩٦م.
- الجبوري، عبد الكريم. *تعليم العربية لغير الناطقين بها: مناهج وتجارب*. بغداد: دار الشؤون الثقافية، ٢٠١٠م.
- عبد الرحمن، أيمن. "التحديات النحوية في تعليم العربية للناطقين بغيرها". *مجلة الدراسات اللغوية*، العدد ١٢، ٢٠١٨م، ص ٥٥–٧٨.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Richards, Jack C. & Schmidt, Richard. *Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics*. London: Routledge, 2010.

Celce-Murcia, Marianne & Larsen-Freeman, Diane. *The Grammar Book: An ESL/EFL Teacher's Course*. Boston: Heinle & Heinle, 1999.

Ellis, Rod. *Understanding Second Language Acquisition*. Oxford: Oxford University Press, 1997.

Brown, H. Douglas. *Teaching by Principles: An Interactive Approach to Language Pedagogy*. White Plains, NY: Pearson Education, 2007.

Cook, Vivian. *Second Language Learning and Language Teaching*. London: Routledge, 2016.

Krashen, Stephen. *Principles and Practice in Second Language Acquisition*. Oxford: Pergamon Press, 1982.

Weaver, C. (1996). *Teaching grammar in context*. Portsmouth, NH: Heinemann.